الفصل الثاني

شرح معنى الإسلام، وأنه دين الرسل جميعًا

قال في القاموس: (أسلم: انقاد وصار مسلمًا.. واستسلم. انقاد)[1].

ويشرح الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى معنى (الإسلام) فيقول:

«لفظ «الإسلام» يستعمل على وجهين:

متعديا كقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥]، وقوله: ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ [آل عمران: ٢٠].

وقوله في دعاء المنام. «**أسلمت نفسي إليك**»[2].

ويستعمل **لازمًا** كقوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١]، وقوله: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ٨٣]، وقوله عن بلقيس: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤]. وهو يجمع معنيين:

(١) القاموس المحيط ١/ ١٤٤٨.
(٢) أخرجه البخاري (رقم٦٣١١)، ومسلم (رقم ٢٧١٠)..

obeikandl.com

- **أحدهما**: الانقياد والاستسلام.

- **والثاني**: إخلاص ذلك وإفراده، كقوله ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾[الزمر: ٢٩].

وعنوانه قول: لا إله إلا الله. وله معنيان:

- **أحدهما**: الدين المشترك، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، الذي بعث به جميع الأنبياء، كما دل على اتحاد دينهم نصوص الكتاب والسنة.

- **والثاني**: ما اختص به محمد من الدين والشرعة والمنهاج - وهو الشريعة والطريقة والحقيقة)[1].

ويقول في موطن آخر:

«وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥].

فقد أنكر الله أن يكون دين أحسن من هذا الدين وهو إسلام الوجه لله مع الإحسان، وأخبر أن كل من أسلم وجهه لله وهو محسن ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[البقرة: ١١٢].

أثبتت هذه الكلمة الجامعة والقضية العامة ردًّا لما زعمه من زعمه أنه لا يدخل الجنة إلا متهود أو متنصر.

---

(١) الإيمان الأوسط ص٢٤٧.

وهـذان الوصفـان، وهمـا: إسـلام الوجـه لله، والإحسـان، هما الأصـلان المتقدمـان، وهمـا كون القـول والعمـل خالصًـا لله صوابًا موافقًا للسنة والشريعة....

ولهذا كان أئمة السلف رحمهم الله يجمعون هذين الأصلين، كقول الفضيل بن عياض في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[الملك: ٢]، قال: أخلصه وأصوبه. فقيل له: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إن العمـل إذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل وإذا كان خالصًا ولم يكـن صوابًا لم يقبل، حتى يكون خالصًـا صوابًا، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة»[1].

ويذكـر ابن الجوزي رحمه الله تعالى مـا ورد في القرآن الكريم عن معاني الإسلام، فيقول: (الإسلام في القرآن الكريم على خمسة أوجه:

- **أحدها**: اسـم للدين الذي تدين به، ومنه قوله سـبحانه: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[آل عمران: ١٩].
- **والثـاني**: التوحيـد، ومنـه قولـه تعـالى: ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟﴾[المائدة: ٤٤].
- **والثالث**: الإخـلاص (إخلاص العبادة لله)، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[البقرة: ١٣١].

(١) مجموع الفتاوى ٢٨/ ١٧٥.

• **والرابع**: الاستسلام، ومنه قوله عز من قائل: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣].

• **والخامس**: الإقرار باللسان، ومنه قوله تعالى: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤][1].

وسئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في بلد الحرمين هذا السؤال: لماذا سمي الدين الإسلامي (بالإسلام)؟ فأجابت:

(لأن من دخل فيه أسلم وجهه لله واستسلم، وانقاد لكل ما جاء عن الله وعن رسول الله ﷺ من الأحكام، قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠]، إلى قوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١]. وقال: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [البقرة: ١١٢][2].

دين الرسل جميعًا واحد هو الإسلام:

إن الإسلام بمفهومه ومعناه الذي سبق بيانه هو الذي دعت إليه الرسل جميعًا، منذ أن أهبط آدم عليه السلام إلى خاتم الرسل نبينا محمد ﷺ.

• قال الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

---

(١) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ١/ ١٣٦.

(٢) رقم الفتوى (٧٨٨٧).

- وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[النحل: ٣٦].

- وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[الزمر: ٦٥].

- وقال سبحانه عن الدين الذي لا يقبل من الناس غيره: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[آل عمران: ١٩].

- وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[آل عمران: ٨٥].

- وقال الرسول ﷺ: «**أنا أولى الناس بابن مريم في الدنيا والآخرة، ليس بيني وبينه نبي، والأنبياء أخوة، أبناء علات، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد**»[١].

وأبناء العلات: إذ كان الأخوة لأب واحد، وأمهات شتى كانوا أبناء علات، وإذا كانوا لأم واحدة وآباء شتى فهم أبناء أخياف، وإذا كانوا لأب واحد وأم واحدة فهم أعيان.

وقد شبه الرسول ﷺ الأنبياء بأنهم أبناء علات، لأن دينهم واحد وهو الإسلام، وشرائعهم شتى[٢].

(١) البخاري (٣٤٤٢)، مسلم (٢٣٦٥) واللفظ لمسلم.
(٢) انظر جامع الأصول ٨/ ٥٢٣.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «فإن جميع الأنبياء على دين الإسلام، قال الله تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾[يونس: ٧١]، إلى قوله: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢].

وقال عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾[البقرة: ١٣٠]، إلى قوله ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[البقرة: ١٣١]، إلى قوله ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢] .

وقال عن موسى عليه السلام قوله لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾[يونس: ٨٤] .

وقال في خبر المسيح عليه السلام لقومه: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾[المائدة: ١١١]، وقال فيمن تقدم من الأنبياء: ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾[المائدة: ٤٤]، وقال عن ملكة سبأ أنها قالت: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[النمل: ٤٤].

فالإسلام يتضمن الاستسلام لله وحده؛ فمن استسلم له ولغيره كان مشركًا، ومن لم يستسلم له كان مستكبرًا عن عبادته، والمشرك

به والمستكبر عن عبادته كافر. والاستسلام له وحده يتضمن عبادته وحده وطاعته وحده. فهذا دين الإسلام الذي لا يقبل الله غيره؛ وذلك إنما يكون بأن يطاع في كل وقت بفعل ما أمر به في ذلك الوقت؛ فإذا أمر في أول الأمر باستقبال الصخرة، ثم أمرنا ثانيًا باستقبال الكعبة: كان كل من الفعلين حين أمر به داخلًا في الإسلام، فالدين هو الطاعة والعبادة له في الفعلين؛ وإنما تنوع بعض صور الفعل وهو وجه المصلي، فكذلك الرسل دينهم واحد وإن تنوعت الشرعة والمنهاج والوجه والمنسك؛ فإن ذلك لا يمنع أن يكون الدين واحدًا كما لم يمنع ذلك في شريعة الرسول الواحد، والله تعالى جعل من دين الرسل: أن أولهم يبشر بآخرهم ويؤمن به، وآخرهم يصدق بأولهم ويؤمن به)[1].

ويقول سيد قطب رحمه الله تعالى بعد ذكر قصة نوح عليه السلام في سورة هود:

«هذه الحقيقة... حقيقة أن أول عقيدة عرفت في الأرض هي الإسلام، القائم على توحيد الدينونة والربوبية والقوامة لله وحده.. تقودنا إلى رفض كل ما يخبط فيه من يسمونهم (علماء الأديان المقارنة) وغيرهم من التطوريين، الذين يتحدثون عن التوحيد بوصفه طورًا متأخرًا من أطوار العقيدة، سبقته أطوار شتى من التعدد والتثنية

(١) الرسالة التدمرية ١/ ٦٨.

للآلهة. ومن تأليه القوى الطبيعية وتأليه الأرواح، وتأليه الشموس والكواكب.. إلى آخر ما تخبط فيه هذه (البحوث)، التي تقوم ابتداء على منهج موجه بعوامل تاريخية ونفسية وسياسية معينة؛ يهدف إلى تحطيم قاعدة الأديان السماوية والوحي الإلهي والرسالات من عند الله، وإثبات أن الأديان من صنع البشر؛ وأنها من ثم تطورت بتطور الفكر البشري على مدار الزمان!

وينزلق بعض من يكتبون عن الإسلام مدافعين؛ فيتابعون تلك النظريات التي يقررها الباحثون في تاريخ الأديان وفق ذلك المنهج الموجه! من حيث لا يشعرون! وبينما هم يدافعون عن الإسلام متحمسين، يحطمون أصل الاعتقاد الإسلامي الذي يقرره القرآن الكريم في وضوح حاسم. حين يقرر أن آدم عليه السلام هبط إلى الأرض بعقيدة الإسلام. وأن نوحًا عليه السلام واجه ذراري آدم الذين اجتالهم الشيطان عن الإسلام إلى الجاهلية الوثنية بذلك الإسلام نفسه.. القائم على التوحيد المطلق.. وأن الدورة تجددت بعد نوح، فخرج الناس من الإسلام إلى الجاهلية؛ وأن الرسل جميعًا أرسلوا بعد ذلك بالإسلام.. القائم على التوحيد المطلق.. وإنه لم يكن قط تطور في العقيدة السماوية في أصل الاعتقاد، إنما كان الترقي والتركيب والتوسع في الشرائع المصاحبة للعقيدة الواحدة، وأن ملاحظة ذلك التطور في العقائد الجاهلية لا يدل على أن الناس صاروا إلى التوحيد،

بناء على تطور في أصل العقيدة. إنما يدل على أن عقيدة التوحيد على يد كل رسول كانت تترك رواسب في الأجيال التالية، حتى بعد انحراف الأجيال عنها ترقي عقائدهم الجاهلية ذاتها؛ حتى تصير أقرب إلى أصل التوحيد الرباني. أما عقيدة التوحيد في أصلها فهي أقدم في تاريخ البشرية من العقائد الوثنية جميعًا! وقد وجدت هكذا كاملة منذ وجدت، لأنها ليست نابعة من أفكار البشر ومعلوماتها المترقية؛ إنما هي آتية لهم من عند الله سبحانه. فهي حق منذ اللحظة الأولى، وهي كاملة منذ اللحظة الأولى..

هذا ما يقرره القرآن الكريم؛ ويقوم عليه التصور الإسلامي. فلا مجال إذن لباحث مسلم، وبخاصة إذا كان يدافع عن الإسلام! أن يعدل عن هذا الذي يقرره القرآن الكريم في وضوح حاسم، إلى شيء مما تخبط فيه نظريات علم الأديان المقارنة. تلك النظريات النابعة من منهج موجه»[1].

مسألة وجوابها:

يرى بعض الناس إما عن جهل بحقيقة الإسلام أو عن هوى وجدال بالباطل: أن الموحد من أي ملة مضت هو مسلم مؤمن، ولو بقي على ملته بعد بعثة نبينا محمد ﷺ. ويستدل على ذلك بقوله تعالى:

---

(١) في ظلال القرآن بعد تفسير قصة نوح عليه السلام المذكورة في سورة هود ٤/ ١٨٨٢، ١٨٨٣.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢][1].

وهذا فهم منحرف إذ إن معنى الآية كما ذكره ثلة من المفسرين أن من كان متبعًا من اليهود لموسى عليه السلام فهو مؤمن موحد، ومن اتبع عيسى عليه السلام فهو مؤمن موحد وذلك لمن مات منهم قبل بعثة الرسول ﷺ أما من أدرك نبينا محمدًا ﷺ ولم يؤمن به ويتبعه فليس بمؤمن ولو كان موحدًا، لأن الكفر بمحمد ﷺ هو كفر بعيسى وموسى، الذين بشَّرَا به ﷺ، فمن لم يتبع الرسول ﷺ بعد مبعثه لم يكن متبعًا لموسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام. وقد أخذ الله ﷻ الميثاق على كل نبي قبل محمد ﷺ أن يؤمن بمحمد ﷺ، ويتبعه لو بعث في وقته، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

وهذا هو حقيقة الإسلام الذي لا يقبل الله من أحد غيره: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢/ ١٤٨-١٥٥)، وتفسير ابن كثير (١/ ٢٨٤-٢٨٦).

والكلام عن معنى الإسلام بهذا الفهم الصحيح يقودنا إلى إثبات تهافت الدعوة إلى التقارب بين الأديان أو وحدتها.

وقد مر بنا قول الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقوله سبحانه: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقوله سبحانه عن أهل الكتاب: ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ٢٠]، وقوله سبحانه: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤]، وقوله سبحانه: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

هذا كلام الله، ومن أصدق من الله حديثًا: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۖ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام: ١١٥].

فهل بعد هذا البيان من بيان في أن دين الله الحق واحد وهو الإسلام، وليس عدة أديان، وهل يجوز للمسلم وهو يقرأ ويسمع

هذه الآيـات البينات المحكمات أن يقبل فكـرة التقارب بين الأديان، أو التحاور معها على أساس الندية والاعتراف بها.

إن دين الله الحق واحد، وليس هناك شيء اسمه الأديان السماوية أو الإبراهيمية، لأن دين الأنبياء جميعًا واحد هو الإسلام. وقد مر بنا قوله ﷺ: «**أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الأولى والآخرة**» قالوا: كيف يا رسـول الله؟ قال: «**الأنبياء أخوة من علات، وأمهاتهم شتى، ودينهم واحد، فليس بيننا نبي**»[1].

فدين إبراهيم وموسـى وعيسـى ومحمد عليهم الصلاة والسلام هـو الإسـلام لا غـير: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقـرة: ١٣٢]، ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونـس: ٨٤]، وقال سـبحانه عـن عيسـى عليه السلام وحواريـه: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢].

واللافـت في جل الآيات السـابقة أنها في سـورة آل عمران، وقد نزلت في الحوار مع نصارى نجران، حيث كان الحوار صريحًا حاسـمًا، وذلـك بإعلان الـبراءة من دين النصارى الوثنـي المنحرف، ودعوتهم إلى تـرك كفرهـم وشركهـم ودعوتهـم إلى الدخـول في دين الإسـلام

(١) متفق عليه.

القائم على عبادة الله وحده وتوحيده والبراءة من الشرك وأهله. يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: (والمقصود أن كل من رغب عن ملة إبراهيم فهو سفيه. قال أبو العالية: رغبت اليهود والنصارى عن ملة إبراهيم، وابتدعوا اليهودية والنصرانية، وليست من الله، وتركوا دين إبراهيم)[1]. فأين هذا من الدعوة الباطلة التي تطرح اليوم بقبول دين اليهود والنصارى، أو عدم التعرض له بالنقد والتضليل والبراءة، بل والتقارب معه بحجة محاربة الإلحاد ونشر السلام والتسامح والعدل!!

وسبحان الله العظيم كيف يقترب فضلًا عن أن يتحد شيئان متضادان. كيف يجتمع التوحيد القائم على عبادة الله وحده لا شريك له والتسليم له، مع الشرك القائم على عبادة غير الله، وكيف يجتمع من يقول: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣]. مع من يقول ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾[المائدة: ٧٣]. ومع من يقول ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾[التوبة: ٣٠]. ومع من يقول ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾[التوبة: ٣٠]. تعالى الله عما يقول الكافرون علوًّا كبيرًا.

كيف يجتمع الموحد، ويتقارب مع من يقول الله عز وجل عنه وعن شناعة معتقده ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن

(١) مجموع الفتاوى ١٦/ ٥٧٢.

دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴾[مريم: ٨٨ - ٩٥].

إن المتضادين لا يجتمعان أبدًا لا في عالم الجمادات ولا في عالم الحيوانات، إلا على وجه المغالبة حتى يذوب أحد المتضادين في الآخر، وإلا فإنهما حسب السنن الكونية سيبقيان متنافرين، لا يلتقي أحدهما بالآخر إلا أن يلتقي الضب والحوت.

إذا تبين أن فكرة الوحدة أو التقارب بين الإسلام والكفر مستحيلة عقلًا وشرعًا. وإن وجد من يقبلها فإما أن يكون جاهلًا، لا يدري ما معنى التوحيد، ولا ما هو الشرك، أو يكون عالمًا بذلك لكنه ماكر مغرض، يريد هدم الإسلام، ونشر الكفر والشرك والإلحاد. إذا تبين لنا ذلك فسيبقى أمامنا سؤال مفاده: متى يكون الحوار مع الكفار مقبولًا.

والجواب والحمد لله واضح وجلي، قد بينه الله ﷻ في كتابه الكريم، وذلك أن الصورة المقبولة من الحوار مع أهل الكتاب وغيرهم من الكفار هو دعوتهم إلى التوحيد، ودخولهم في الإسلام، واتباعهم لمحمد ﷺ، وترك ما هم عليه وإن رفضوا فهم كفار نتبرأ منهم ومن كفرهم ونحذرهم ولا نظلمهم.

وقد سبق ذكر بعض الآيات التي فيها محاورة أهل الكتاب في بيان شركهم ودعوتهم إلى التوحيد، وأخص منها قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]، وصورة أخرى للحوار مع الكفار في حالة القتال معهم، سواء في جهاد الطلب ودعوتهم قبل القتال إلى الإسلام أو الجزية أو القتال، أو كان في جهاد الدفع في حالة ضعف المسلمين في التفاوض معهم في دفعهم عن ديار المسلمين بهدنة أو صلح أو نحو ذلك. وكل هذه المحاورات تتم دون التنازل عن عقيدة التوحيد أو الاستحياء من طرحها، ودون تحسين دين الكفر أو قبوله. وهذه الصورة من الحوار مرفوضة أصلًا عند الكفار ولا يقبلون بها. أما الصورة المرفوضة من الحوار مع الكفار في دين الإسلام التي يدعو إليها الكفار، فهي التي تطرح هذه الأيام، وتعقد لها الندوات والمؤتمرات. والتي يراد منها أن تكون طريقًا إلى التقارب مع أديانهم الباطلة، والسكوت عن كفرهم، وإبطال عقيدة الولاء والبراء من ديننا، فلا براءة من المشركين، ولا عداوة، ولا كره للكافرين. كل ذلك باسم الحوار والدعوة إلى زمالة الأديان ونشر السلام وبث روح التسامح معهم!!!

إن التسليم والإسلام لله ﷻ وإخلاص العبادة له وحده يستلزم عقيدة الولاء والبراء، الولاء لله ﷻ ولرسوله وللمؤمنين، والبراءة من الكفر والكافرين، والبراءة من كل دعوة سوى الإسلام يعقد عليها الولاء والبراء. وهذه هي الكلمة التي واجه بها إمام الحنفاء إبراهيم عليه السلام قومه، وجعلها كلمة باقية في عقبه والمتبعين لملته. قال الله ﷻ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٦ - ٢٨].

وهي التي حصر الله ﷻ الولاية فيها بقوله: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [المائدة: ٥٥ - ٥٦].

ومن الدعوات واللافتات الجاهلية التي ترفع اليوم، ويراد أن يكون عليها معقد الولاء والبراء والحب والبغض والعداوة والنصرة دون النظر إلى عقيدة أهلها:

١- الدعوة إلى الوطنية.

٢- الدعوة إلى القومية.

٣- الدعوة إلى الإنسانية.

- حيث إن الوطنية تجعل الانتماء إلى الوطن الواحد هو معيار الحب والبغض، بحيث يكون الولاء والمحبة والنصرة لكل من يعيش

تحت مظلة الوطن الواحد ولو كان كافرًا أو منافقًا، ويقدم على من سواه ممن ليس من أبناء الوطن ولو كان مسلمًا صالحًا، ولا يخفى ما في هذا الميزان الجاهلي من مصادمة ومصادرة للميزان الإلهي في الولاء والبراء، والذي هو مقتضى الإسلام لله ﷻ وحده لا شريك له.

- **أما القومية**: فتدعو إلى جعل الجنس العربي هو ميزان الولاء والبراء، فمن كان عربيًّا سواء فردًا أو مجتمعًا أو دولة أو ثقافة وفكرًا فله الولاء والمحبة والنصرة مهما كانت عقيدته ونحلته، وفي مقابل ذلك الكره والعداوة لكل من ليس عربيًّا ولو كان مسلمًا موحدًا، وهذا كله مضاد لعقيدة التوحيد والإسلام لله ﷻ.

- **وأما الإنسانية**: فهي الدعوة إلى إلغاء الإسلام وعدم جعله معقد الولاء والبراء، بل جعل الجنس الإنساني مهما كانت نحلته وعقيدته هو الأصل الذي يعقد عليه الحب والبغض، فالكل يعيشون تحت مظلة الأخوة الإنسانية في سماحة وسلام ومحبة ووئام. أما الدين فهو بين الإنسان وربه، ولا يصلح أن يدخل في التفريق بين بني الإنسان، أو أن يدخل في الحكم بينهم، ومن باب أولى - زعموا - إلغاء الجهاد، الذي يثير الحروب والعداوة بين بني الإنسان!!

ويكفينا في الرد على هذه النحلات الجاهلية قول الله ﷻ: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنعام: ١٤].

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥ - ٥٦].

وقوله ﷻ لنبيه نوح عليه السلام حينما قال: ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ [هود: ٤٥]، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ [هود: ٤٦].

وقوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].